The Style of Interrogation and its Impact on the Samy Al-Qāsim's Poetry of Resistance 'Persona Non Grata'

Ali Khezri*
Rasool Ballawy **
Mohammad Javad Poorabed***
Zohreh Behroozi****

Abstract

The style is a systematic practice of language tools, including interrogations which is considered one of the most important methods to influence on the emotion of the audience, and authors are keen to increase the use of interrogation in their poetry to be uniform. Interrogation is an independent and important part in the language and has many rhetorical purposes used in the poetry of resistance. The Palestinian poet Samy Al-Qāsim, who is the trinity poet reflects the style of interrogation in his poetry many times for showing Palestinian issue and Palestinian suffering. The court «Persona Non Grata» has the most important poetic effects on Samy Al-Qāsim which has been used by high style. This study aims, using descriptive-analytical method, to contribute to the detection of rhetorical purposes which lie in the style of interrogation. The results of this study showed that the style of interrogation is a more constructive method in this court, and it plays an important role in expressing opinions. Also, Sami used literal interrogation widely and more than interrogation in terms of repetition. Metaphorical sense in the court is more than the true meaning and most of rhetorical purposes used in the court are exile, prevention, and exclamation for Palestinian issue.

Keywords: Contemporary Arabic Poetry, Resistant Literature, Samy Al-Qāsim, Stylistics Interrogation.

* Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Booshehr, Iran (Responsible author) alikhezri84@yahoo.com
** Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Booshehr, Iran
*** Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Booshehr, Iran
**** M. A. Student of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Booshehr, Iran
Received: 19/09/2016 Accepted: 05/11/2017
This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

بحوث في اللغة العربية: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان
العدد ١٨ (ربيع وصيف ١٤٣٩هـ. ق/ ١٣٩٧ هـ. ش)، ص ٣٤ ـ ٢١

أسلوب الاستفهام وتأثيره في شعر سميح القاسم المقاوم

ديوان شخص غير مرغوب فيه نموذجاً[١]

علي خضري ❖
رسول بلاوي ❖❖
محمد جواد پورعابد ❖❖❖
زهرة بهروزي❖❖❖❖

الملخّص

الأسلوب هو الممارسة العلمية المنهجية لأدوات اللّغة، ومنها الاستفهام حيث يعتبر من أهمّ الأساليب في تحريك عواطف المخاطب، والأدباءُ حرصوا على تَوفُّره في أعمالِهم حتى لاتَكون على وَتيرَة واحدة. الاستفهام جزءٌ مستقلٌ وهامٌ في اللّغة. وله أغراضٌ كثيرة ومتنوّعة تُستخدم في أشعار المقاومة، كأشعار الشاعر الفلسطينيّ سميح القاسم الّذي يعدّ ثالوث شعراء المقاومة. أكثر سميح في نتاجه الأدبي من استخدام الاستفهام وعكس عبره كفاح الفلسطينيين ومعاناتهم؛ ديوانه «شخص غير مرغوب فيه» من أهمّ الدواوين الشعرية حيث استخدم فيه أسلوب الاستفهام بنسبة عالية وملفة للنظر.

تهدف هذه الدراسة وفقاً للمنهج الوصفي ـ التحليلي، أن تسهم في الكشف عن الأغراض البلاغيّة الّتي تكمن في أساليب الاستفهام. من النتائج الّتي وَصَلنا إليها في هذه الدّراسة: أنّ أسلوب الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائية الّتي استعان بها الشاعر الفلسطينيّ في هذا الديوان، وللاستفهام دور جاد في التعبير عمّا في نفسه. استَخدَم سميح حرفي الاستفهام استخداماً واسعاً بالنسبة إلى أسماء الاستفهام من حيث التكرار؛ ويغلب المعنى المجازيّ في الاستفهام خاصّة الأغراض البلاغيّة كالنفي والنهي والتعجب على المعنى الحقيقيّ لانعكاس قضية فلسطين والمصاعب الّتي يتحمّلها الشعب الفلسطينيّ.

المفردات الرئيسية: الشعر العربيّ المعاصر، أدب المقاومة، سميح القاسم، أسلوب الاستفهام.

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٩٥/٦/٢٩هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٦/٨/٢٤هـ. ش.

❖ أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس ـ بوشهر (الكاتب المسؤول). Email: alikhezri@pgu.ac.ir
❖❖ أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس ـ بوشهر Email: r.ballawy@pgu.ac.ir
❖❖❖ أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس ـ بوشهر Email: javad666@yahoo.com
❖❖❖❖ الماجستيرة في قسم اللّغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس ـ بوشهر Email: zohreh.behroozi@yahoo.com

١ـ المقدمة

نشأت الأسلوبية على يد اللغويين، واتّخذت اللّغة محوراً لدراستها. الأسلوبية تعني دراسة النصوص والأشعار للكشف عن الأنماط التعبيرية للتبيين عمّا في صدر الكاتب أو الشاعر. وتبدو أهمية التحليل الأسلوبيّ في كشف المدلولاتِ الجمالية في النصّ. تختص اللّغة بأساليبٍ متعددّةٍ لكلّ منها أغراضٌ، مِن هذه الأساليب أسلوب الاستفهام الّذي يعتَري كلامَ النّاس بقيم جمالية ويتَمَيز بحُسنِ الدّلالة.

في الحقيقة حياة البشرية قائمة على السؤال والاستفهام للمعرفة والتطوّر. و كثيراً ما يُستخدَم هذا الأسلوب في النصوص الأدبية والأشعار في معناه الحقيقيّ والبلاغيّ لإفادة المعنى والمقصود، لأنَّ للاستفهام أهمية بالغة في توصيل المعاني وله تاثيرٌ مضاعفٌ للفت انتباه المخاطبين.

محور الدراسة يدور حول الأغراض والمعاني الّتي تناولتها الأساليب الاستفهاميّة في ديوان *شخص غير مرغوب فيه* هذا الديوان الذي يثير عنوانه عدّة تساءلات في ذهن القارئ، فضلا عمّا جاء في طياته من أساليب استفهاميّة تشدّ القارئ وتنقل له دلالات ورؤى جديدة تتناسب مع منحى الشاعر النضالي. هذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن الأغراض الّتي استخدمها الشاعر في شعره من خلال استخدامه لأدوات الاستفهام للتعبير عن معاناة الشعب الفلسطيني المضطهد.

منهجنا في هذا المقال هو منهجٌ وصفي ـ تحليليٌّ، كما لا يفوتنا استخدام المنهج الإحصائي لمعرفة عدد استعمال أدوات الاستفهام ليتبين لنا مدى استخدام سميح القاسم الأساليب الاستفهاميةَ لانعكاس قضية فلسطين وهموم الشعب الفلسطينيّ، ومن خلال البحث سنسعى إلى الإجابة عن هذه الأسئلة:

- ما مدى استخدام الشاعر أدوات الاستفهام في ديوان *شخص غير مرغوب فيه*؟
- ما هي دلالات أسلوب الاستفهام وأغراضه البلاغية في شعره؟

٢ـ خلفيّة البحث

لقد تطرّق الباحثون إلى جوانب متعدّدة من أشعار شاعر المقاومة سميح القاسم وكتبوا عدداً واسعاً من الدراسات في مختلف الصحف والمجلات عن تجربته منها: *تحليل الخطاب التواصلي لأشعار سميح القاسم* للباحثتين رقية رستم پور ومينا پيغامى، وحاولت الباحثتان تحليل مجموعة من الأشعار الّتي أنشدها قبل الحرب من البُعد التواصلي للوصول إلى رؤية الشاعر واختصت الدراسة بمعالجة الأشعار من حيث حضور المتكلّم والمخاطب؛ ومقال *التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية* للباحثين محمد خاقاني اصفهاني ومريم جلائي وتناول البحث دراسة الدلالات الدينية في شعر سميح القاسم ومدى نجاحه في التفاعل مع التّراث الدّينيّ.

من الدراسات التي تناولت الأسلوبية بالبحث في آثار سميح القاسم هي رسالة موسومة *بالانزياح في شعر سميح القاسم* لوهيبة فوغالي لنيل درجة الماجستير في اللّغة والأدب العربي من جامعة أكلي محند أولحاج البويرة، وتتناول هذه الدراسة ظاهرة الانزياح، كمعيار اتّخذه بعض النقّاد لتمييز اللّغة الشعرية عن اللّغة التواصلية؛ ومقال *جمالية التكرار في قصيدة (خطاب من سوق البطالة) لسميح القاسم* للباحث علي أصغر قهرماني مقبل، ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن غاية الشاعر من تكاثف التكرار في هذه القصيدة ودراسة التكرار على مستوى الألفاظ والعبارات وعلى مستوى الصيغ الصرفية؛ وأمّا ما يميز مقالنا هذا عن الدّراسات

الأخرى في مجال أشعار سميح القاسم فهو التركيز على دور أسلوب الاستفهام في نقل المعاني وانعكاس قضية فلسطين وهو موضوع لم يُطرق من ذي قبل.

٣ـ حياة سميح القاسم

«ولد الشاعر سميح القاسم عام ١٩٣٩م في مدينة الزرقاء بالأردن وتوفي في عام ٢٠١٤م بعد صراع مع مرض سرطان الكبد. أسهم إسهاماً كبيراً في بروز ثقافته العربية ونزعته التقدمية. برزت اهتمامات سميح القاسم الأدبية والسياسية في سن مبكّرة فأسهم في نشاطات المدرسة الثقافية بالتمثيل في المسرحيات وفي تشكيل الندوات الأدبيّة وكتابة الشعر غزلاً في طالبة أو هجاءً لمعلم إلى أن تبلورت مفاهيمه في تيار مجابهة السلطة الصهيونية العنصرية والتعبير عن هموم وطموحات الشعب الفلسطيني والأمة العربية والشعوب المغلوبة على أمرها والطبقة العالمية» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٧).

إنّ سميح القاسم كنظائره من الشعراء المعاصرين تطرّق إلى أساليب عدّة لانعكاس الواقع الفلسطينيّ المرير وعرض للعالم بأسره ليشاركهم في آلام هذه الأمّة المنكوبة. فإنّ كلماته وأشعاره تعدّ لوحة فسيفسائية تجد فيها أنواعاً من طرق للتعبير عن هذه القضية فلم يغفل الأساليب البيانيّة بكافة أنواعها وحاول أن يسخرها من أجل انعكاس قضية فلسطين، فمن جملة ما لجأ إليه هذا الشاعر هو انكبابه الواسع على استخدام أسلوب الاستفهام، وذلك لأنّه وجد فيه حقلاً مناسباً ومعيناً زاخراً بالحيوية يستطيع أن يساعده على التعبير عن هذه القضية على نطاق واسع. فلذا أكثر من استخدام هذه الأدوات وتنوّع فيها للتعبير عما يروم من أغراض بإمكانها أن تؤديها هذه الأدوات كما إنّنا وجدنا الشاعر استخدم بعض الأدوات أكثر من الأخرى، وفعلاً كان لهذه الأدوات صداها وأثرها الواسع في قلوب المخاطبين.

٤ـ الأسلوبية

الأسلوبية أو علم الأسلوب هو **«علم لغويّ حديث يبحث في الوسائل اللّغوية التي تكسب الخطاب العاديّ، أو الأدبيّ خصائصه التعبيرية، والشعرية، فتميزة عن غيره»** (بن ذريل، ١٤٢٧هـ، ص ١٣١)، و**«الدراسة الأسلوبيّة تتجاوز مرحلة التبسيط إلى مرحلة أعمق عندما تتعامل مع لغة النص تعاملاً فنيّاً من خلال إبراز الظواهر اللغوية المميزة، ومحاولة إيجاد صلة بينها وبين الدلالات الّتي عن طريقها يمكن الوصول إلى معنى غائب في النص»** (خاقاني وجليليان، ١٤٣٣هـ، ص ٤٣)؛ وأمّا هنا يقوم البحث على أساس حصر الدراسة في أسلوب الاستفهام.

٤ـ١ أسلوب الاستفهام وأدواته

للطلب في العربية أساليب: منها الاستفهام وهو **«حقيقته الفهم، أو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، أو هو معرفة شيء مجهول. والاستفهام مصدر استفهم أي طلب الفهم، ويتمّ الاستفهام بأدوات تتصدر جملة الاستفهام»** (عطية، ٢٠٠٧م، ص ١٩). **«الاستفهام، استعلام ما في ضمير المخاطب وقيل هو طلب الحصول صورة الشيء في الذهن»** (الجرجاني، ١٩٨٥م، ص ١٧).

الاستفهام هو نمطٌ أسلوبيّ، من أنواع الأساليب الإنشائية وهو أحد أكثر أساليب الطلب استخداماً وعنايةً وفي أوسع أفق التفكير نستطيع أن نقول لأسلوب الاستفهام أهميّة بالغة في اللّغة العربيّة حيث **«تكمن أهميّته في الدور الّذي يؤديه في عملية التواصل بين البشر ووظيفته التبليغية والحجاجية، وإذا كان معلوماً أنَّ التواصل لا يتمّ إلّا استناداً إلى تخاطب، فإنَّ الاستفهام أبرز أدوات هذا التخاطب، لأنّه يجسد دورة التخاطب حيث يتوافر على مرسل ومرسل إليه ورسالة»** (عيدة، بلا تا، ص ٢٣).

الجملة التي تبدأ بأداة الاستفهام تسمّي جملة استفهاميّة، وللاستفهام وظيفتان: طلب التصديق، وطلب التصور؛ **«طلب التصديق، هو الذي يسأل عن الجملة التي بعد كلمة الاستفهام؛ (أصادقة هي أم غير صادقة) ولذلك يجاب عنها بـ «نعم» أو «لا» ويستعمل في هذه الجملة حرفان: الهمزة وهل»** (الراجحي، ٢٠٠٠م، ص ٢٩٩). أمّا **«طلب التصور فقد تستخدم فيه الهمزة وبقية كلمات الاستفهام؛ لأنّك هنا لا تسأل عن «صدق» الجملة المستفهم عنها، بل تسأل عن «تصور» المستفهم عنها»** (المصدر نفسه، ص ٣٠٠).

الاستفهام أسلوبٌ غنيٌّ وله معانٍ متنوعة وكثيراً ما نجد في النصوص خروج الاستفهام عن معناه الحقيقيّ واستخدامه في أغراض بلاغية لإفادة المعنى وكتاب *الإتقان* للسيوطي هو مدرك على ثراء أسلوب الاستفهام. **«فقد أورد السيوطي اثنين وثلاثين معنىً للاستفهام»** (السيوطي، ١٩٧٣م، ص ٧٩ -٨٠). لم يكن بدّ من أدوات تدلّ على الاستفهام وهي تصنف في نوعين رئيسين: الحرف والاسم.

٤ـ١ـ١ حرفا الاستفهام

جاء في تعريف الحرف **«هو ما دلَّ على معنى في غيره نحو: هَل، لَم، في، و...؛ وللحروف ثلاثة أقسام، قسمٌ مختصّ بالإسم كحروف الجرّ، وقسم مختصّ بالفعل كحروف النصب والجزم، وقسمٌ مشترك بين الأسماء والأفعال كحروف العطف، وحرفي الاستفهام: هَل والهمزة»** (بديع يعقوب وعاصي، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٥٧٤)، فيختص هذان الحرفان "الهمزة" و"هَل" بدخولهما على الاسم والفعل في أسلوب الاستفهام. قيل: **«حروف الاستفهام هي التي تدخل على الجملة فتجعلها سؤالاً حقيقياً أو غير حقيقيّ وللاستفهام حرفان، هما: الهمزة وهل»** (مختار عمر وآخرون، ١٩٩٤م، ص ٣٠٢)، وتفترق "هَل" عن "الهمزة" لأنّ حرف "الهمزة" يستخدم لطلب التصور. لكن حرف "هل" يستخدم لطلب التصديق، أما ما يجدر الانتباه إليه فهو أنَّ معانٍ كثيرة لحرفي الاستفهام وقد يخرج الحرفان عن معناهما الحقيقيّ.

عرفنا أنَّ أسلوب الاستفهام يعتمد على الحرف والاسم كما استخدمهما الشاعر الفلسطينيّ، سميح القاسم في ديوانه شخص غير مرغوب فيه على النحو التالي في الجدول ١و٢:

جدول رقم ١.عدد استخدام حرف الاستفهام

نوع الحرف	عدد التكرار	النسبة المئوية
الهمزة	٣٠	٦٩٪
هل	١٣	٣١٪
المجموع	٤٣	١٠٠٪

ـ دلالات "أ" البلاغية

الهمزة هي **«أصل أدوات الاستفهام، حرف مبني على الفتح ترد للتصور ـ السؤال عن المفرد ـ نحو: (أمحمد أخوك أم خالد؟) كما ترد للتصديق ـ السؤال عن النسبة ـ نحو: (أمسافر أخوك؟) بخلاف أدوات الاستفهام الأخرى فهي للتصور فقط، ما عدا «هل»، فهي للتصديق ليس إلّا، ويكثر دخولها على الأفعال، ولها أحكام خاصة دون غيرها من أدوات الاستفهام»** (توفيق الحمد وجميل الزعبي، ١٩٩٣م، ص ١٦).

يكون الاستفهام بالهمزة حقيقياً وهدفه هو المعرفة وإزالة الجهل أو غير حقيقيّ لإفادة المقصود، وقد استخدم الشاعر سميح القاسم الهمزةَ في المعنى الحقيقيّ كقوله:

«لا بدّ أن تمضي عذابُك سيدٌ/ ويداك جاريتان في قصرِ الخليفةِ/ أنتَ تُدرِك أنّهم أخذوك ليلاً/ كي يعودوا وحدَهم ملءَ النهارِ/ أتقول لي؟/ عفواً، كلامُك رائعٌ/ لكنّهم ماضون في القصفِ الإذاعيّ/انتبه!/ لك أنت صاروخ حقيقيٌّ/ وللأعداء صاروخ الحوارِ» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ٩٩).

يريد الشاعر إشارة إلى الأيام القاسية التي تمرّ باحتقان سياسيّ، وتكون القدرة في يد الأعداء الّذين لا وجدانَ لهم، فمازال الفلسطينيون يناضلون حتى يبَدِّلوا الانسدادَ السياسيّ إلى الحرية ويستعيدوا حقَّهُمُ الضائع، هدوئَهم، الكرامةَ الوطنية، سيطرتَهم على الأمور الوطنية، وأرض أجدادهم التي احتلّتها الغاصبون؛ فاستخدم الشاعر الاستفهام الحقيقيّ حتى يحكي عمّا وقع وأثار شعورَه بالقلق على نطاق واسع.

الاستفهام يكون غير حقيقيّ إذا خرج عن معناه الحقيقيّ إلى معانٍ بلاغيّة بحسب المقام، وهذه الأغراض هي: **«التسوية، والتقرير، والتوبيخ، والتحقيق، والتذكير، والتهديد، والتنبيه، والتعجب، والاستبطاء، والإنكار، والتهكم، ومعاقبة حرف القسم»** (المرادي، ١٩٩٢م، ص ٣٢)، استخدم الشاعر بعض الأغراض للتعبير عن قضايا مؤلمة كبُعد الأعداء عن الإنسانيّة، وقتل الأطفال الأبرياء قبل أن يدركوا الحياة؛ من هذه الأغراض المستخدمة في *ديوان شخص غير مرغوب فيه*، هي:

ـ التقرير: وهو توقيف المخاطب على ما يعلم ثبوته أو نفيه، ويستفهم الشاعر بالهمزة في التقرير، نحو:

«لابدَّ أن تمضي/ أ ظلامُك حالك؟/ لا بأس،/ مُدَّ يديك في حذرٍ/ وحاولْ أن تُصيخ القلب/ حدِّق بالأصابع/ وَلتكنْ أذناك/ في هذا الظلامِ عَصاك» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ٩٧).

يستعين الشاعر بهمزة الاستفهام للتقرير في قوله: ("أ"ظلامُك حالك؟)، يعني الشاعر مع فهمه عن مقاومة الشعب وكونهم الراسخين أمام المحتلّين يرمز إلى الظلام الدامس الّذي يترتّب على احتدام الحرب، ويستمرّ ويقول: عَلى الشعب أن يقاوموا أمام اليهود للوصول إلى الرؤيا والانتصار، والمقاومة هي الطريقة الوحيدة لتحرير فلسطين. من هذا المنطلق يجب على الناس أن يدافعوا عن وطنهم مستمدّين بأيديهم حذراً من البلاء وبأذنهم بدلاً من عيونهم في ظلام الحرب.

ـ التوبيخ: هو من الأغراض البلاغيّة الّتي **«تقتضي أن يكون ما بعدها واقع، وأنَّ فاعله ملومٌ ويستحق التقريع»** (عطية، ٢٠٠٧ م، ص ٢٤). وهنا نشاهد مجيء الهمزة لغرض التوبيخ في شعر سميح القاسم:

«ألا أيها الصَّاحبان ألا تأخذان الفتي للبلاد التي أسقَمَتْها فضائلُها؟ للبلادِ التي بهظتْ روحَها لعناتُ الأراملِ وامتلكتْ جسمَها شهواتُ الحرائقِ؟» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٥٧).

في هذا المقطع من الشعر يخاطب صاحبين كانا من "الملايو"[١] و"هواي"[٢]، ثمّ يستعين بـ"الهمزة" في معنى التوبيخ لِيرمز إلى الشباب الذين استشهدوا في قضية مقاومة فلسطين تلك الأرض المحتلّة الّتي يدَّعي الصهاينة بتَملّكها. هنا يوبّخ الرجل الصاحبين لأنّ كلّ من يقاوم أمام سياسة القوّة جدير بالتكريم، لكن الفلسطينيّين رغم تطوّعهم للدفاع عن الوطن يحسبون شخصا غير مرغوب فيهم.

ـ التحقيق: التحقيق يستخدم في المواضع الّتي يريد المتكلّم أو الأديب إثبات كلام أو مسألة نحو قوله تعالى: ﴿**قال أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**﴾ (الشعراء ٢٦: ١٨).

وأمّا الشاعر سميح القاسم فيقول في هذا الصدد:

«وتُرى ألستَ تَرى حِبالَ اللهَ،/ نازلةً/ من الهليكوبتر المختالِ جبريلاً،/ إلى الأرض الغريقة؟» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٢٦).

---

١. شبه جزيرة ملايو هي الإقليم الغربي من الاتحاد الماليزي.

٢. هواي هي آخر الولايات التي انضمت إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

هنا نشاهد أنَّ سميح القاسم استعمل "الهمزة" في معنى التحقيق للتنبيه لكي يقول حان وقت موت الفلسطينيّ الّذي تعوّد على القصف الهمجي وإلقاء القنابل، وهكذا يُصوّر لنا تصويراً مؤلماً من موت الشعب الفلسطينيّ مستعيناً بهذا الأسلوب في معناه المجازيّ.

التذكير: وذلك يُستخدم حين يُراد تذكير ما بعد الأداة، الشاعر يقول في هذا المجال:

«هَرِمتُ/ وغمتُ/ وإني لأسأل نفسي وأسألُ/ وأسأل نفسي وأشقي وأضجرُ/ ألم يكن العشبُ أنقي وأنضرْ؟» (المصدر نفسه، ص ١١٧).

هنا يشعُر الشاعر بالحزن الشديد لويلات الحرب وأنقاض أضاعت جمال بلده العزيز الّذي كان يجري فيه يوماً لونُ الحياة لكن اليوم أصبح مستغرقاً في دم الأطفال والشباب ولم يبق من جماله إلّا ذكريات خالدة يحملها الفلسطينيّ إلى قبره. في هذا الشاهد من الديوان يسأل الشاعرُ عن الأيام الماضية التي كانت فلسطين بلداً عامراً وهذا التواتر في الاستفهام والتذكير يدلّ على تَحَسُّره.

استخدم سميح القاسم الهمزة في ديوانه ثلاثين مرّة، وكما درسنا أشعاره عرفنا أنّ أكثر استفهامه بحرف الهمزة كان حقيقياً لطلب الفهم وغير حقيقي للتوبيخ والتحقيق والتذكير وخاصّة للتقرير.

ـ دلالات "هل" البلاغية

حرف استفهام مبني على السكون غير عامل ويدخل على كلام موجب **«موضوعٌ لطلب التصديق الإيجابي، دونَ التصوُّر ودون التصديقِ السّلبي، يمتنعُ نحو: «هل زيدٌ قائمٌ أم عمروٌ» إذا أريد بـ (أم) المتصلة التصور، ويمتنع نحو: «هل لم يقُمْ زيدٌ؟» لأنّه تصديق سلبي»** (الدقر، ١٩٨٦م، ص ٤٢٢).

جاءت "هل" للاستفهام الحقيقيّ في ديوان *شخص غير مرغوب فيه*، كقول الشاعر في ما يلي:

«هل كفرتُ؟ أعذروني ولا تعذروني... أنا الغجريُّ المحاصَرُ في حزنِهِ» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٥٧).

هذه الكلمات تنقل لنا حالة الشعراء الّذين كتبت لهم الحكومةُ التهجير القسري وطردوا من جانب الحكومة وأصحاب القدرة الّذين أخذوا بدفة الحكم؛ وهنا يريد الشاعر التعبير عن الظلم وشدّة المصاعب التي يواجهها الفلسطينيّ مستخدماً حرف الاستفهام في معناه الحقيقيّ لإبراز عدم المعرفة بذنبه المجهول وهو مستغرب من اعتقاله.

يأتي الاستفهام لمعان أخرى غير الاستفهام الحقيقيّ، منها: "النفي، وقد، وإنَّ، والأمر"؛ واستخدم الشاعر هذه الأغراض في الديوان لإبراز الحسرة على الأيام الماضيّة.

وحزنه على موت صديقه العزيز معين بسيسو[1]؛ في ما يلي نعالج هذه الأغراض بالنقد والدراسة:

ـ الأمر: هو المعنى الذي يدلّ على طلب حصول شيء من الآخرين، وقد استخدم الشاعر حرف "هل" في هذا الموضع كقوله:

«هل أنتَ مصغٍ؟/ تلك سمفونيةُ الكاوبوي[2]/ تعزفها أساطيل الخرافةِ/ في طقوس الصُّم» (المصدر نفسه، ص ١٢٦).

في هذا المقطع يكتب الشاعر لصديقه الراحل معين بسيسو ويرثيه بهذه العبارة الاستفهامية التي تنطوي على معنى الطلب، "هل أنت مصغٍ؟". ويريد أن يصغي بسيسو إلى صوت الانفجارات الّتي تشبه سمفونية الكاوبوي في الشدّة والانسجام، ومع ذلك لا يتقاعس الشعب بالرغم من تكاثر هجمات القوّة الغاشمة ضدهم.

---

١. هو الشاعر الفلسطيني ومن أحد روّاد المسرح الفلسطينيّ.

٢. الموسيقى الغربية هو شكل من أشكال الموسيقى الشعبية الأمريكية؛ والموسيقى الغربية تحتفل حياة رعاة البقر أو الكابوي على نطاقات مفتوحة.

ـ بمعنى "قد": نرى أحيانا حرف "هل" ينزاح عن معناه الاستفهامي ليأخذ دلالات جديدة تدلّ على التأكيد منها حرف "قد"، وهو حرفٌ يدخل على الفعل الماضيّ للتحقيق والتأكيد على المعنى المراد؛ من المواضع الّتي جاءت عند الشاعر هي:

«يومان/ أسبوعان/ شهرٌ طافحٌ/ عامان/ قرنٌ/ هل تعبتَ؟/ تعال يا ولدي» (المصدر نفسه، ص ١٠١).

هنا تأتي "هل" بمعنى "قد"، ويريد الشاعر سميح القاسم أن يحكي عن حزنه لموت أبيه استعانةً بـ "هل" الاستفهاميّة في قوله يا ولدي الشهيد إنَّك قد تعبتَ من هذه المواعيد؛ وقد وعدت الأممُ والحكومةُ الشعبَ الفلسطينيَّ بدعم دبلوماسي لكنَّ الشعب لايشعرون بأية حمايةٍ ويتوقّف الدعم والصيانة عند الكلام وإنّ المواعيد ثرثرة لا ثِقَةَ بها.

سميح القاسم استعمل حرف "هل" في *ديوان شخص غير مرغوب فيه* ١٣ مرّة كما نشاهد في الجدول رقم (١) واستعمله الشاعر في معناه الحقيقيّ والمجازيّ ليتحدّث عن قضية اللاجئين ويعرب عن حزنه حول موت صديقه العزيز معين بسيسو ورثاء أبيه، فاستعان الشاعر بحرف "هل" للتعبير عن ذروة حزنه.

٤ـ١ـ٢ أسماء الاستفهام

الأسماء الّتي تُستخدم للاستفهام إنّها ليست أدوات أصيلة للاستفهام، بل الاستفهام عارض فيها، **«الاستفهام عارض في الأسماء لأنّ الأسماءَ وما أشبهها للحروفِ في الأصلِ فلا يعتدّ بذلك ولا يعدَلُ له عن الأصل المستمِرّ»** (الجرجاني، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٣٣٥). أسماء الاستفهام هي (من) و(ما) و(أين) و(متى) و(أيان) و(متى) و(كم) و(كيف) و(أي)، وهذه الأسماء مبنية ما عدا (أي) لإضافتها إلى المفرد، والجدول رقم ٢ يبين لنا تكرار أدوات الاستفهام ونسبتها المئوية في الديوان ومدى استخدم الشاعر لأسماء الاستفهام:

جدول رقم ٢. عدد استخدام أسماء الاستفهام

من	١٣	٪٢٩
ما	١١	٪٢٣
متى	٢	٪٢
أين	٦	٪١٣
كيف	٩	٪١٩
أي	١	٪١
ماذا	٦	٪١٣
المجموع	٤٨	٪١٠٠

كما نشاهد في الجدول، استخدم سميح القاسم (من) و(ما) و(كيف) أكثر من (متى) و(أين) و(أي) و(ماذا) في ديوانه الشهير «شخص غير مرغوب فيه»، ولم يستخدم أسماء الاستفهام (أيان) و(أنى) و(كم) و(من ذا).

ـ دلالات "مَن" البلاغية

"من" هو اسم استفهام **«مبني على السكون يستفهَم بها عن العاقل مذكراً، ومؤنَّثاً مفرداً وغيره، نحو: مَن تحدَّثَ؟ ومَن تحدَّثتْ؟ ومَن تَحدَّثوا؟ وتعرب مُبتدأ إذا وقعت قبل اسم نكرة، أو فعل لازم، أو متعدٍّ إذا أُخذ مفعوله»** (توفيق الحمد وجميل الزعبي، ١٩٩٣م، ص ٣١٨).

من الاستفهام الحقيقيّ في شعر الشاعر هو استفهامه عن أبيه الشهيد نحو:

«ألم تكن الشمس أزهي وأقربْ/ كبرتُ/ وصرتُ/ مِن الأهل في منزل الحزنِ/ يا والدي مَن تغيرَ؟/ وماذا تَغَيرَ؟» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص١١٧).

في هذا المقطع سميح القاسم يرسمُ لنا تصويراً مؤلماً ويرثى أباه المتوفّي في شعره "أبي" ويخاطِبه لِبَثّ الشَّكوى ويقول إنَّه نَشأ وكبرَ في زمن الحرب وضاقت خطواته وهَرِمَ؛ هنا يستفهم الشاعر أباه استفهاماً حقيقياً عمَّن تغير وعمّا تغير لكي يسمع جواباً عن أبيه المتوفّى لتسكين روحه الحزينة.

اسم "من" للسؤال عمَّن يعقل نحو: "من جاء؟" فتقول "محمّد" و**«قد تخرج (مَن) عن الاستفهام الحقيقيّ إلد أغراض أخرى كالنفي، والدهشة والتعجب، والإلزام، والتشويق والترغيب، إلى غير ذلك من المعاني»** (السامرائي، ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٦٤٠).

الدهشة والتعجب: التعجب والاستغراب هما من الحالات الّتي تستولي على الإنسان عندما يدرك نقيض ما يعلم وما يدور في ذهنه، ومن المواضع الّتي استخدم الشاعر اسم "من" في المعنى التعجبيّ هي:

«الخاتم الذهب/ في إصبع العرب/ من قطع الاصبع؟/ سُبحانَ من وهب/ ويلٌ لمن ضيع!» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٤٤).

القدس تُحسب زينة للعرب كخاتم الذهب، وهنا استعان الشاعر في قوله (من قطع الإصبع؟) بالاستفهام الذي كان غرضه التعجب للتكلّم عن القدس هذا الحقّ الحاسم للفلسطينيين، الحق الّذي يعتبره الشاعر هبّة من الله تعالى وتوخّاه الإسرائيليون. هكذا يُعربُ عن تعجبه ويشير إلى سياسةٍ مدروسة انتهت إلى الاعتداء على حقّ الشعب الفلسطينيّ من جانب أعدائهم، هؤلاء الجلّادين المعاصرين الّذين سبَّبوا آلام العرب.

ـ النفي: قد يأتي أسلوب الاستفهام خارجاً عن معناه الحقيقيّ لنفي الشيء أو جحده كما جاء عند الشاعر، كقوله:

«وتمَّ اعتقالي بدون مُقاومةٍ (من أُقاومُ؟ البردُ يقتُلُني في العراء. ودفءُ السجونِ أحبُّ إلى الأجنبيِّ المُطارَدِ من بَردِ أحلامه المفزعهْ)» (المصدر نفسه، ص ١٥٧).

سميح القاسم شاعرٌ حفلت حياته بالشعرِ والكفاح وقاوم أمام المحتلّين حتى اعتقل؛ وفي هذا الشاهد الشعري استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام (من أقاوم؟) بدل استخدام أسلوب خبري كجملة (لا أقاوم) لكي يلفت انتباه المخاطب لكلامه أنّه يرجِّح اعتقاله في زنزانة الأجنبيّ على الاعتذار والانسحاب أمام الأهداف السيئة وما سعي إليها الأجنبيّون لأنّهم سيقتلونه لا محالة.

كما رأينا في الجدول (٢) استخدم سميح القاسم اسم (من) ١٣ مرّة. ومن هذا المنطلق استعمل الشاعر الاستفهام في معناه الطلبيّ لفهم ما كان مجهولا لديه، وفي معناه المجازيّ للتعبير عن قضية فلسطين كما ذكرناها في ما سبق نحو: الانتصار الحاسم للشعب الفلسطينيّ في نهاية الحرب.

ـ دلالات "ما" البلاغية

"ما" الاستفهامية هي **«اسم مبنيّ على السكون، يستَفهم به عن غير العاقل وعن حقيقة الشيء أو صفته سواءٌ أكان هذا الشيء عاقلاً أم غيرَ عاقل نحو: (ما فعلتَ؟) و(ما الإعرابُ؟)، و(ما أقسام الكلمة؟)»** (بديع يعقوب وعاصي، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ١٠٩٥). وبمعنى **«أيّ شيء، يطلب بها شرح الاسم»** (توفيق الحمد وجميل الزعبي، ١٩٩٣م، ص ٣٠٠).

تأتي "ما" الاستفهامية للسؤال عن حقيقة الشيء، لكن قد تخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى معانٍ أخرى منها: التعظيم والتفخيم، والتحقير، والحثّ، والإنكار، والإلزام، والاستبعاد وغير ذلك من المعاني. في هذا الديوان لم يرد استعمال اسم "ما" للاستفهام الحقيقي، بل تعدى الشاعر الاستفهام عمّا هو مجهول لديه إلى أغراض بلاغية للتعبير عن عدم انسحاب الفلسطينيّ، والافتخار بوطنه، منها:

ـ الإنكار: من الأغراض البلاغيّة التي دفعت الشاعر لاستخدام اسم "ما"، إفادة معنى الإنكار، كما يقول في شعره *فسيفساء على قبة* الصخرة:

«ـما اسمك يا عَروسْ؟/ ـ نسيتَني؟/ "يبوس"!» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٤٢).

يخاطِب الشاعرُ مدينةَ القدس التي كانت تُسمَّى بـ"يبوس" قبل تسميتها بـ"أورسالم" وكان أوَّل اسم ثابت لهذه المدينة، ويستفهِم عن اسمها الّذي قد تَغير واختَلَفت على مرِّ الزمنِ والعصور رُغم علمه به مستعينة باسم "ما" في معناه الإنكاريّ للتظاهر بعدم معرفته بهذه القضية حتى يعبّر عن الأوضاع المتفاقمة والأيام الّتي تحيّر فيها الفلسطينيّيون بين الموت والحياة لأنهم مجرمون ولا جرم لهم سوى كونهم فلسطينيّين، في منطلق هذا المعنى يرمز الشاعر إلى هذه الفكرة الّتي يقول فيها لا ينبغي أن نخجل من خلفيتنا كما لاينبغي أن نكتفي بآبائنا والتراث القومي ونفتخر بها وعلى رقابنا تخليص القدس.

يقول الشاعر الفلسطينيّ في قصيدته "مأساة هوديني المُدهِش":

«ما هذه الضجَّة؟/ كل الّذي صارا/ أنّي ثقبتُ بأدمُعي تفاحةً فَجَّه/ واتّخذتها دارا!/ سُدّوا شوارعَكم/ وتَنَفّسوا الصُعَداء» (المصدر نفسه: ص ١٣٨).

هذا الشاعر الفلسطينيّ يشبّه نفسه بالساحر المعروف هاري هوديني (Harry Houdini)[1] وهوديني هو الّذي يعتبر من أكبر الأسماء في فن التخلّص من القيود، وقد استطاع أن يتخلّص من أقفال السجن والزنزانة؛ فبسبب استفهامه "ما هذه الضجَّة؟" ينهي النّاس عن الاضطراب والبكاء لأنَّه تخلّص من زنزانة محكمة الأقفال وأفلت منها مع السلاسل مقيدة، هكذا استخدم الشاعر اسم "ما" في غرض النهي ويمنع النّاس عن الضجَّة لأنَّ دموعه أسفرتْ عن نتيجةٍ وأثرت جهوده، فيفتخر بجهوده في هذا السبيل ويعَظِّمها.

ـ التعظيم والتفخيم: المراد بالتعظيم في الاستفهام هو التفخيم والتبجيل، ومن أمثلة "ما" الاستفهامية للتعظيم في الديوان المدروس هي:

«أدرك أنّنا روحٌ موزَّعةٌ على جَسَدين/ يا أيها البدويّ/ سوف نعود أمس/ نعودُ.../ ما رَضوان؟/ ما الجنّات تجري تحتَها الأنهار؟/ ما الحشر المباغتُ؟/ ما سَقَر؟/ لا بدّ أن أمضي» (المصدر نفسه، ص ١٠٤).

في هذا النصّ المستلّ من "القصيدة المفخخة" يعتبر الفلسطينيّ والبدويّ متشابهين وإنَّهما روحٌ واحدةٌ في جسمين بمعنى أنّهما قلقان حول شأن الإنسان ولكلاهما حسرة حفظ القيمة الإنسانيّة. يعرب الشاعر عن الأمل ويعتقد أنَّ فلسطين سيستردُّ كلّ شيءٍ أُسلِب منها وسوف تُثمِرُ المقاومة وسوف تنتهي الجهود باستعادة المدينة، من هذا المُنطلق، لم يأخذ الشاعر اسم "ما" للسؤال عن حقيقة الرضوان والجنّات، بل استخدمه الشاعر للتعظيم والافتخار بالأيام الماضية الّتي سوف تعود دون أيّ شك.

بلغ عدد تكرار اسم "ما" ١١ مرّة في ديوان *شخص غير مرغوب فيه*، وعند دراسةِ الأمثلة لدلالات اسم "ما" يتّضح لنا أنَّ الشاعر أخرج اسم "ما" عن الاستفهام الحقيقيّ إلى الأغراض البلاغيّة كالإنكار، والتعظيم، والنفي، والنهي لكنّ استخدام "ما" في غرض التعظيم يفوق سائر الأغراض لأنّ الشاعر قد أكثر استخدام هذا الاسم في التعبير عن اعتزازه بوطنه.

ـ دلالات "ماذا" البلاغية

---

١. لمزيد من التفاصيل في المصادر الفارسية، را: : الموقع للسّاحر الأمريكيّ هاري هوديني: http://www.thegreatharryhoudini.com

«قد تُرَكبُ "ما" مع "ذا" فيصبحان كلمة واحدة "ماذا" بمعنى "ما" وتعرب إعرابها» (بديع يعقوب وعاصي، ١٩٨٧م، ج ٢، ص١٠٩٥)؛ وأمّا في هذا الديوان فقد أورد الشاعر هذا الإسم للكلام عن فقدان حرية التعبير، وتشديد الضغط على الشعب المقاوم.

اتَّخذ الشاعر اسم الاستفهام "ماذا" في شعره نحو قوله:

«ــ فمعذرة لا نُريدُك!/ ــ وايْ؟ لاما؟ پيركيه؟ وركواه؟ پاتشيمو؟ لماذا؟» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣: ص ١٦١).

يخاطب الشاعر العالم والبلدان الغربية الّتي لاتسمح للفلسطينيّين إذن الدُّخول في البلاد وأورد اسم "ماذا" في معناه الحقيقيّ لطلب الجواب حتى يعرف بأيِّ سبب لايستطيع الفلسطينيّ أن يلجأ إلى أي بلدٍ، ومازال له حظر الاستيراد، وتقول (Persona Non Grata)، هذه الجملة الّتي كانت تُستخدم ضد الأشخاص غير المرغوب فيهم وعلى رأسهم أبناء الشعب الفلسطيني.

ـ النفي: لم يغفل الشاعر الأغراض البلاغية لاسم "ماذا" وقد اتّخذه في معنى النفي، نحو:

«ويقتلني الصمتُ... ماذا أقولْ؟/ ويقتلني القول... ماذا أقولْ؟/ "عبيدٌ وقد مَلَكوا!"/ ما أقولُ/ لعصفورةٍ أرهَقَتها العواصِفُ/ والصِلُّ في العشِّ/ والنار تحلقُ وجه الحقولْ؟» (المصدر نفسه: ص ١٥٣).

في هذا المقطع من ديوان *شخص غير مرغوب فيه*، استعمل الشاعر أسلوب الاستفهام مستعيناً باسم "ماذا" في معنى النفي بدل جملة خبريّة "لا أقول" للمزيد من التفات المخاطب لكي يعرب عن حزنه عن حرمان الناس من حرية التعبير، ويجرِّد نفسه عن الكلام حول صعوباتٍ يتحمّلها اللاجئ الفلسطينيّ المتشرّد الّذي مازالت الحوادث تمرّ به ويدعو نفسه إلى اللوذ بالصمت حول نار حربٍ شُبَّتْ في البلاد للنجاة من قتله على يد العدو.

ـ النهي: يستخدم الاستفهام في النهي للكفّ عن عملٍ أو الامتناع عن شيءٍ؛ وعندما يُقال للفلسطينيّ:

«لماذا تجادل؟/ وكيف تُقاتِل؟/ سترجع من حيثُ جئتَ، ومعذرةً سيدي، لا نُريدُك» (المصدر نفسه: ص ١٦١).

يستفهم عن الفلسطينيّ "لماذا تجادل؟" في معناه المجازيّ بدل أن يقال له "لا تجادل"، وينهي الفلسطينيّ الّذي يحاول أن يلجأ إلى البلدان الأخرى.

كما نشاهد في الجدول رقم (٢) استعمل الشاعر اسم "ماذا" ٦ مرّات للتعبير عمّا في صدره وفي هذا المنطلق استخدمه سميح القاسم مرتين في معناه الحقيقيّ لطلب الجواب حتى يعلم لماذا لا يسمح البلد الغربيّ للفلسطينيّين إذنَ الدخول، ويفوق استخدام "ماذا" أغراضه البلاغية النفي والنهي كما درسناهما.

ـ دلالات "كيف" البلاغية

اسم استفهام للسؤال عن الأحوال و«يستفهم به عن حالةِ الشَّيء مبنيٌّ على الفتح، والاستفهام به إمّا حقيقيٌّ نحو "كيفَ زيدٌ؟" أو غيرُ حَقيقيٍّ نحو ﴿**كيفَ تَكفُرُونَ باللهِ؟**﴾ (البقرة ٢: ٢٨)، «**فإنَّهُ أُخرِجَ مُخرَجَ التَّعَجُّبِ**» (الدقر، ١٩٨٦م، ص ٢٨٩).

من أمثلة الاستفهام الحقيقيّ في ديوان «شخص غير مرغوب فيه» هي:

«يا إبن المدارات السحيقَةِ/ يا عَريسَ اللوز والليمونِ/ كيفَ مدارُك الجوفيُّ؟/ كيف عروسُك البيضاء،/ في المنفي الهلاميّ البعيد؟/ كيف الطقوسُ لديك؟» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٢٥).

الشاعر يعتقد أنَّ الشعب الفلسطينيّ لايتخلّى عن الكفاح في سبيل الحرية أمام الأعداء الّذين انتهكوا حريةَ الفلسطينيين وأراقوا دم الشباب، حتى يتحقَّق الهدفُ المنشودُ وفي هذا السبيل كانوا يحظون بمحبّةَ من الله، فلا ينبغي أن يكونوا حزينين لاستشهاد

شهدائهم وكم من أطفالٍ وشبابٍ وقعوا في الظلم. من هذا المنطلق سميح القاسم استخدم اسم "كيف" في معناه الحقيقيّ متواتراً للسؤال عن حياة الشهداء ومصيرهم في الآخرة وما نتج عن مقاومتهم عند الله.

طلب معرفة عن حقيقة الشيء هو الأصل في أسلوب الاستفهام لكنَّه قد يخرج عن معناه الحقيقيّ إلى استفهام غير حقيقيّ يحمل الأغراض البلاغية، منها: **«التعجب، والنفي، والنهي، والتوبيخ، والتحذير، والتنبيه، والتهكم، والاستبعاد، والتعظيم والتهويل إلى غير ذلك من المعاني»** (السامرائي، ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٦٣٣).

ـ التعجب: التعجب هو المعنى المجازيّ الذي يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي لإظهار الإعجاب للشيء، نحو قول الشاعر:

كـــان قـــبري، فكيـــف أصـــبح قـــبرك؟ وهو .ســـــرّي أم أنَّـــه كـــان ســـــرَّك؟

يـــا أبـــي! والـــدي! أبـــوي! يابـــا! فيـــك وحَّـــدتُ، والـــرَّدى فيَّ أشـــرك»

(القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١١٨).

استعمل سميح القاسم اسم "كيفَ" في معنى التعجب بدل استخدامه في المعنى الحقيقيّ ليبدي حزنَه عن موت أبيه، هذه الكارثة الّتي أُصيب بها؛ والخلاف المتعمق الموجود في ما بين الشرك والتوحيد هو إشارة إلى عقائد الدروزية؛ يطلق الدروز على أنفسهم "الموحدين" نسبةً إلى عقيدتهم في توحيد الله ويعتقدون بالتقمّص[١].

ـ النفي: كما أشرنا سابقاً يأتي الاستفهام لإفادة الجحد ونفي الإثبات، وجاء في شعر سميح القاسم، نحو قوله:

لم أضـــــعْ فـــــوقَ جِـــــدارٍ صُـــــوَرك يـــــا أبـــــي كيـــــفَ ألاقـــــي نَظَـــــرك؟

(المصدر نفسه، ص ١٢٠).

أورد سميح القاسم اسم الاستفهام "كيف" بعد مجيء حرف الاستفهام "الهمزة"، ويستفهم عن أبيه استفهاماً مجازياً.غرض الشاعر من تكرار هذا الاستفهام هو نفيُ حضور والده وسميح لا يستطيع أن يتمتَّع بحضور أبيه في المستقبل، فهكذا يعَبِّرُ عن حزنه من هـــذه المصيبة. من هذا المنطلق بـدل أنْ يقـول لا ألاقي نَظـرك أو لا أستطيع أن ألاقي نَظرك وقس على هذا، يلجأ إلى اسم "كيف" للإعراب عن تفجُّعه وتحسُّره على موت أبيه.

ـ النهي: النهي للامتناع ونري هذا المعنى البلاغيّ في ديوان سميح القاسم كما يقول:

«لماذا تجادل؟/ وكيف تُقاتِل؟/ سترجع من حيثُ جئتَ، ومعذرةً سيدي، لا نُريدُك»

(القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٦١).

تنتهي قصيدة *شخص غيرمرغوب فيه* بشكل مفاجئ وغير متوقع، هذه القصيدة الملحمية تحكي عن المصاعب والحواجز التي تقع أمام الفلسطينيّين. هنا استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام خارجاً عن معناه الحقيقيّ، والغرض من هذا الانزياح في استعمال "كيف" هو نهي الفلسطينيّ اللاجئ الّذي يسعي أنْ يعيش في بلدٍ آخر؛ هو يتحمَل معاناة كثيرةً على الحدود بأنَّه يعتبر الإرهابيّ بهتاناً ويصِف الفلسطينيّ شخص غير مقبول قامَ في وجهِ المُحتلِّين من أجلِ حقِّه ووطنه المُغتَصب.

أظهرتْ الدراسة أن عدد التكرار لاسم الاستفهام "كيفَ" بَلَغ ٩ مرّات، وكما عالجنا الديوان استخلصنا منه أنّ سميح القاسم استخدم اسم "كيفَ" في الاستفهام الحقيقي الذي هو الأصل في استخدامه حيناً، وحيناً آخر لم يغفل الأغراض البلاغية لاسم

١. انتقال الرُّوح مِن جَسد إلى جَسد آخَر بعد الموت حَسَب ما تَعتَقدُه بَعضُ الْمَذاهِب.

"كيفَ" واستخدمه في النفي والتعجب للإعراب عن ذروة حزنه وكذلك في النهي لكي يحكي عن معاناة الشعب الفلسطينيّ على الحدود والبلاد الأخرى.

ـ دلالات "أينَ" البلاغية

"أين" هو اسم استفهام و«**عن المكان الذي حلّ فيه الشيء**» (الدقر، ١٩٨٦م، ص ٨١)، مبنيّ على الفتح في الحالات كلّها ويكون مبنياً على الظرفية المكانية نحو قوله تعالى: ﴿**أينَ شركائي الّذينَ كنتم تزعمون**﴾ (القصص ٢٨: ٧٤)؛ اسم "أين" يستعمل في معناه الحقيقيّ والمجازيّ للسؤال لكن الشاعر الفلسطينيّ سميح القاسم لم يستخدم "أينَ" إلّا في معناه المجازيّ للتعبير عن حزنه لموت أقربائه، منها:

«**من أينَ جئتَ؟/ وكيف كنتَ؟/ وأينَ أنتَ؟/ وأينَ دربُك؟**» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٢٣).

كما نشاهِد، يخاطِب سميح القاسم في قصيدة *أنتَ تدري كم نحبك!* شاعرَ المقاومة صديقه معين بسيسو الّذي كان موته هزةً كبيرةً في فلسطين، وسميح القاسم لم يستطع أن يصدّق حقيقة موته فسمّاه "المتماوت" وفي هذا السبيل انتفع من أسلوب الاستفهام مستخدماً اسم "أين" وسأل عن بدايته ونهايته وجودياً، كما في قوله "من أين جئت؟" دخل الاسم حرفُ "مِن" وهذه دلالةٌ على كونه سؤالاً عن المبدأ.

سميح القاسم استعمل اسم "أين" في ديوان *شخص غير مرغوب فيه* مرّات كما نشاهِد في الجدول (٢) ولم ينتفع عنه إلا في معناه المجازيّ ليحكي عن شدّة حزنه للقضايا الّتي كانت منبعثة من الحرب، فاستعان باسم "أين" في التعبير عن ذروة حزنه ومن هذه التعابير هي موت أقربائه كأبيه وصديقه.

ـ دلالات "متى" البلاغية

اسم استفهام يستفهم به عن الزمان و«**مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية، نحو: "متى السفر؟" أو "متى تسافر؟" ونحو: "متى استلمته؟" وقد سمع في كلام العرب دون قياس ادخالهم "حتى" أو "إلى" حرفَي الجر "إلى" "متى"، فقالوا: "حتى متى؟" و"إلى متى؟")**» (توفيق الحمد وجميل الزعبي، ١٩٩٣م، ص ٣١١).

يستعمل اسم "متى" للاستفهام الحقيقي والسؤال عن الزمان لكنّه «**قد يخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى معان أخرى كالاستبطاء والاستبعاد وغير ذلك من المعاني**» (السامرائي، ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٦٤٠).

ورد اسم "متى" عند الشاعر متواتراً نحو:

«**دلّتني على الدربِ شراييني/ متى أبلغُ قلبي/ ومتى أبلغُ يافا؟**» (القاسم، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ٢٠٤).

سميح القاسم في شعره القصير «ع.١٣» استخدم الاستفهام ليعرب عن أمل الّذين قاوموا أمام المحتلّين مقاومةً بطوليةً؛ أخذ الشاعرُ أسلوب الاستفهام خارجاً عن معناه إلى الاستبطاء وهذا يدلّ على أنّ الشاعر والشعب الفلسطينيّ لايجعلون للشّك طريقاً إلى قلبهم وإنّهم واثقين في تحرير فلسطين مع أنَّ طريق الوصول إلى إثمارِ الأهدافِ والطموح بطيئٌ.

كما ورد في الجدول رقم (٢) لم يستخدم الشاعرُ اسم الاستفهامَ "متى" إلّا مرّتين وهما في معنى الاستبطاء وهذه دلالةٌ على عدم اعتناء الشعب الفلسطينيّ بمرِّ الزمن لأنَّ النّاس لايستسلمون للزمنِ وغمغمةِ الحرب، وكلُّ الإنجازات الّتي حقّقتها المقاومةُ الفلسطينيّة هي بفضل الاستمرار والمثابرة.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكننا القول:

الاستفهام هو من أكثر الأساليب الإنشائيّة التي استخدمها الشاعر في الديوان *شخص غير مرغوب فيه*، وهدف الشاعر من كثرة استخدام الاستفهام هو التفات المخاطب إلى الصور والأفكار والمواقف التي تعبّر عن قضية المقاومة والهموم وطموحات الشعب الفلسطينيّ.

إنّ الشاعر استعمل أدوات الاستفهام في معناها الحقيقيّ والبلاغيّ، ولم يغفل المعنى المجازيّ للاستفهام بل ركّز عليه تركيزاً إلى حدّ بإمكاننا أنْ نقول قد يكون أسلوبُ الاستفهامِ حجراً أساسيّاً للديوان وجعله الشاعر حقلاً مناسباً للتعبير عمّا في صدره حول فلسطين وكلّ ما يدور فيها واحتلالها؛ فحاول الشاعر أنْ يستخدم هذا الأسلوب من أجل انعكاس قضية فلسطين. ومن هذا المنطلق يخصّص الشاعرُ أَعلى درجات التردُّد للأغراض البلاغية في النفي والنهي والتعجب.

في دراستنا لهذا الديوان تبيّن لنا أن الشاعر استخدم أسماء الاستفهام حسب تنوّعها أكثر من حرفي الاستفهام، لكنّه استخدم حرفي الاستفهام استخداماً واسعاً بالنسبة إلى أسماء الاستفهام من حيث عدد تكرارها؛ وأعلى الأدوات الاستفهامية من حيث التردّد في الديوان *شخص غير مرغوب فيه*، هو حرف "الهمزة" الّتي وصل عدد تكراره إلى ٣٠ تكراراً، واسم "متى" أورده الشاعر في شعره مرَّتين، واسم "أي" أداتٌ لم يأخذه الشاعر إلّا مرة واحدة فقط، فهذا العدد لأسماء "متى" و"أي" ضئيلٌ جدّاً مقارنةً بسائر الأدوات خاصّة حرفي الاستفهام.

وأخيراً، بعد إنجاز هذا البحث اتّضح لنا هناك مجال خصب لدراسة الديوان شخص غير مرغوب فيه من حيث أسلوب الأمر وبلاغته، لأنَّ كيفية استخدام الأساليب الإنشائية كأسلوب الأمر في الشعر هي من أهمّ ميزات الشاعر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

- ***القرآن الكريم.***
١. بديع يعقوب، إميل؛ ميشال، عاصي. (٧٩٨٧م). ***المعجم المفصّل في اللّغة والأدب***. (ط ١). بيروت: دار العلم للملايين.
٢. بن ذريل، عدنان. (٧٤٢٧ه). ***اللغة والأسلوب دراسة.*** (مراجعة وتقديم: حسن حميد). (ط ٢). عمان: مجد لاوي.
٣. توفيق الحمد، علي؛ جميل الزعبي، يوسف. (١٩٩٣م). ***المعجم الوافي في أدوات النحو العربي.*** (ط ٢). إربد: دار الأمل.
٤. الجرجاني، عبدالقاهر. (١٩٨٢م). ***المقتصد في شرح الإيضاح.*** (تحقيق: كاظم بحر المرجان). (ج ١). قاهرة: دار الرشيد للنشر.
٥. الجرجاني، علي. (١٩٨٥م). ***التعريفات***. بيروت: مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح.
٦. خاقاني، محمد؛ مريم جليليان. (١٣٣٣ه.ق/ ١٣٩١ه.ش). «ومضات أسلوبية في سورة "الرحمن"»، ***بحوث في اللغة العربية وآدابها.*** صص ٥٢ ـ ٤١.
٧. الدقر، عبد الغني. (١٩٨٦م). معجم النحو. (ط ٣). بيروت: مؤسسة الرّسالة.

٨. الراجحي، عبده. (٢٠٠٠م). التطبيق النحويّ. (ط ٢). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٩. السامرائي، فاضل. (١٩٩٠م). معاني النحو. بغداد: جامعة بغداد.

١٠. السيوطي، جلال الدين. (٧٩٧٣م). الإتقان في علوم القرآن، (ج ٢)، بيروت: المكتبة الثقافية.

١١. عطية، محسن. (٢٠٠٧م). ***الأساليب النحوية***. (ط ١). عَمّان: دار المناهج للنشر والتوزيع.

١٢. عيدة، ناغش. (بلا تا). ***أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية: في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية***. مذكرة لنيل شهادة الماجستير. جامعة مولود معمري تيزي وزو. كليةالأدب واللّغات. قسم الأدب العربيّ.

١٣. القاسم، سميح. (٢٤٤٤م). ***الأعمال الشعرية الكاملة ١***. (ط ١). بيروت: دار العودة.

١٤. ـــــــــــــ. (٢٠٠٤م). ***الأعمال الشعرية الكاملة ٣***. (ط ١). بيروت: دار العودة.

١٥. مختار عمر، أحمد، زهران؛ مصطفي النحاس؛ حماسة عبداللّطيف، محمّد. (١٩٩٤م). ***النحو الأساسيّ***. (ط ٤). الكويت: ذات السلاسل.

١٦. المرادي، الحسن. (١٩٩٢م). ***الجني الداني في حروف المعاني***، (تحقيق: فخر الدّين قباوة ومحمّد نديم فاضل). (ط ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی